في ظلال السيرة العطرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن من أعظم نعم الله علينا أن أرسل إلينا رسولاً بشيراً ونذيراً يهدينا إلى الصراط المستقيم، ويحذرنا من سبيل الجحيم، كما قال تعالى: {لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [[1]].

لقد كان رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - ولا يزال - نبراساً للهداية وسراجاً منيراً في كل جزء من أجزاء حياته؛ في أقواله وأفعاله، في حركاته وسكناته.

ولم يأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جهداً في دلالة الأمة على كل خير وتحذيرها من كل شر، نشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة.

والإيمان به صلى الله عليه وسلم؛ أحد ركني كلمة التوحيد التي لا يقبل إيمان أحد إلا بقولها والعلم بمعناها، والإذعان والقبول لها، والعمل بما دلت عليه واقتضته؛ عمل مخلص موقن بها.

ولذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم علينا حقوق وواجبات عظيمة تليق بمنزلته صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم تلك الواجبات؛ محبته واتباعه، والتسليم لما جاء به تسليماً مطلقاً لا يشوبه ذرة حرج؛ فضلاً عن بادرة تردد أو اعتراض!

وفي مقام المحبة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) [[2]].

---

[1][?] سورة آل عمران: 164.

[2][?] أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان: 14، ومسلم في

ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [3].

ولا يستطيع تحقيق هذه المحبة على وجهها الأكمل إلا القليل من النـاس الـذين صـدقوا وسـلموا لله تسـليماً مطلقـاً، وهـؤلاء هم أهل التوحيد الخـالص الـذين لهم الدرجات العلى.

ولاشك أن كل دعوى معوزة إلى برهان يثبت صـدقها، والمحبة صـفة تقـوم في القلب، ومن أعظم دلائلها ولوازمها اتبـاع ما جـاء به النـبي صـلى الله عليه وسـلم اتباعاً مطلقـاً لا يقيـده هـوى ولا عقـل؛ كما قـال سـبحانه وتعالى: {فلا وربك لا يؤمنـون حـتى يحكمـوك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسـلموا تسليماً} [4].

ومحبة النبي صلى الله عليه وسـلم واتباعـه؛ تسـتلزم معرفة ما جاء به النـبي صـلى الله عليه وسـلم، ومعرفة أوصـافه الخُلقية والخَلقية ومعرفة ما جـرى له في حياتـه، وما كان يسلكه في السلم والحرب، وفي الشدة والرخاء، وفي دعوته وجهـاده، ومعرفة ملابسـات بعثته من نسـبه وحاله وحال قومه، والأرض التي بعث فيها، وكيفية نشأته.

والـذي نعـني بدراسـته هنا هو السـيرة بمعناها الاصطلاحي المشهور الذي يعتني بنقل مشاهد حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ نشأته إلى موته صلى الله عليه وسـلم، وما تنطـوي عليه تلك الحيـاة الكريمة من أحـوال وحوادث وغزوات، ويدخل في ذلك ملابسات بعثته.

وأما أحكامه وشمائله؛ فمحلها كتب أخرى.

الإيمان: باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد رقم: 44.

[3] [?] أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمان: 16، ومسلم في الإيمان:باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم: 43.

[4] [?] سورة النساء: 65.

وإن الإنسـان كلما تبحر في سـيرة أحد من النـاس ينسب إلى الخـير والفضل ازداد محبة له وإجلالاً ومسارعة في التأسي به - هذا لو كـان من آحـاد النـاس - فكيف إذا كـان سـيد ولد آدم وخـيرهم صـلى الله عليه وسلم؟!

والمـؤمن الصـادق تدفعه محبة النـبي صـلى الله عليه وسلم ومحبة اتباعه أن يتعرف على سـيرته العطـرة، وإن من أعظم القصور والتقصـير أن يجهل المسـلم حـال نبيه صلى الله عليه وسـلم فـإن هـذا ولاشك له أثر على محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه!

وإذا كان المسـلم العـادي محتاجـاً إلى معرفة سـيرته صـلى الله عليه وسـلم؛ فـإن الطائفة المنصـورة - أهل الجهـاد - أحـوج ما تكـون إلى السـيرة؛ كيف لا وهي المنافحة عن دين الله وسـنة نبيه صـلى الله عليه وسـلم بالسنان والبيان؟!

كيف لا وهي تخوض الآن أكبر صـراع يشـهده التـاريخ، وتواجه العقبات تلو العقبـات، وتكابد الـويلات من القـريب والبعيد على حد سـواء؛ فهي تعيش محنة عظيمـة، وهي المخاض الذي يسبق النصر إن شاء الله.

وفي هذا الطريق الشائك تحتاج إلى الـزاد الـذي يقيم صلبها، وتحتـاج إلى القـدوة الـذي يشد أزرهـا، ويوضح لها السبيل.

وفي طريقها المزحـوم بـالابتلاءات؛ تواجه ضـروباً من العوائق وألوانـاً من المكـر، فتـارة تواجه بالحديد والنـار، وتـارة يبسط لها بسـاط الإغـراء لتسـلم قيادها وتـترك مبادئها، وأحيانـاً يطلب منها أن تنخـرط في سـلك الباطل وتسـتر سـوآتها بـزي الحكمة والمصـلحة، وقد تـدعى إلى المداهنة باسم "المداراة".

وتواجه كل يوم في طريقها شباكاً من المكر ينسـجها شياطين الإنس والجن.

وفي حياة النـبي صـلى الله عليه وسـلم؛ تجد الطائفة المنصـورة - حفظها الله - ما يشد أزرهـا، ويصـبرها على اللأواء، وتجد القـدوة الصـادقة في النـبي صـلى الله عليه وسـلم وصـحابته الكـرام رضي الله عنهم أجمعين وتـرى

هناك مشاهد الصبر والثبات والتضحية في سبيل إعزاز هذا الدين، وتجد الدواء الناجع والسيف القاطع لكل عقبة كؤود، ومكر مرصود.

والمراحل التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم من الضعف وقلة العدد والعدة، وقلة النصير، وكثرة المعارض والخاذل والمحارب؛ ثم انعكاس الحال وانقلاب الموازين وعلو كلمة الدين، وحصول الفتح المبين؛ كما قال سبحانه وتعالى: {واذكروا إذ كنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون} [5].

كل هذه المجريات تنفخ روح الأمل في الطائفة المنصورة في هذا الزمان الذي قل فيه العدد والعدة والنصير، وكثر المخالف والخاذل والمحارب، ورماهم الكفار عن قوس واحدة.

فلابد أن ينجز الله وعده للمؤمنين الصادقين كما أنجزه للأولين.

وفي ظلال السيرة؛ يصحب المؤمن نبيه صلى الله عليه وسلم صحبة روحية، كأنه أحد أصحابه؛ يتفاعل مع أحداثها، ويعيش أفراحها وأتراحها، وأكثر الناس شعوراً بهذا هم أهل الجهاد لأنهم يحيون مشاهد سيرته حياة حقيقية لا مجرد خيال؛ فهم نسخة أصلية عن سيرة النبي وصحبه؛ فقد كانت السيرة مشحونة بمشاهد الصبر والابتلاء والمعاناة في سبيل الله عز وجل؛ وغنية بوقائع الهجرة والجهاد، كانت مكدسة بأجساد الشهداء والجرحى والأسرى وألوان العذاب.

بينما تجد سواهم من القاعدين لا يستطيع أن يدرك حقيقة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فيبقى إدراكه للسيرة ناقصاً مبتوراً؛ بل ربما يصير مسخاً مشوهاً! وكيف يحس من ركن إلى الدنيا وكره الموت، وآثر السلامة؛ كيف يحس بمعاني الصبر والثبات، والصدق واليقين، والولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين؛ التي هي حقيقة التوحيد، وأبرز معالم السيرة المباركة؟!

---

[5][?] سورة الأنفال: 26.

ألا فليعلم هـؤلاء القاعـدون - من كـانوا وأينما كـانوا - أنهم لن يدركوا حقيقة حياة النـبي صـلى الله عليه وسـلم حتى يتركوا ما فيه من التثاقل والإخلاد إلى الأرض، وحـتى يسلكوا الطريق الشائك الذي تتبين فيه معادنهم، وتصـلب فيه أعوادهم.. كفـاهم كـذباً على أنفسـهم وعلى النـاس، بادعائهم أنهم أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم.

هــذا هو الطريق الواضــح، طريق التوحيد لقد كــانت ســيرته تحقيقــاً للتوحيد الــذي هو حق الله على العبيــد، وليس التوحيد خطباً تلقى أو كتبـاً تـدرس - فحسب -؛ بل هو الحيــاة لله مهما كــانت النتــائج والضــرائب؛ {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}.

ولذلك فإننا نقدم بين يدي القارئ الكريم سلسـلة من سـيرة النـبي العطـرة، وقد جعلنا في هـذه الحلقة مقدمة لما بعدها؛ تـذكرة للمسـلمين، وتحفـيزاً لهم على صـحبتنا في هذه الحلقات، التي سـنحاول فيها - إن شـاء الله - أن نربطها بالواقع ربطاً وثيقاً حيث يكون متحققاً، ونجتهد في حشد الأدلة الشـرعية والنقـولات الواقعية مما له مسـاس بحديثنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

وهدفنا في ذلك هو تبصير المسـلم بسـيرة نبيه صـلى الله عليه وسلم وإبراز القيم الفاضلة التي تصقل نفسيته، وتبصــيره بواقعــه، وبما يــدور حوله من المكــر، وكيفية مواجهتــه، ونضع معــالم في طريقه ليســير على بصــيرة وهدى، ويتجنب الضلالة والردى.

ولا نقصد في هذه الحلقـات أن نسـرد جميع مجريـات السيرة، ولا أن نـوعب في تفصـيلها، وإنما نقف فيها على محطـات لها مسـاس بـالواقع المعاصر وجهادنا المبـارك، لنتفيأ بظلال أشـجارها، ونجتـني من ثمارهـا، ونـتزود من موائــدها الطيبــة، ونرتشف من سلســبيلها، لعل الله أن يجعلنا من سالكي سبيلها.

والحمد لله رب العالمين

بقلم الشيخ؛ منصور الشامي
عن مجلة؛ طلائع خرسان
تعنى بشؤون الجهاد والمجاهدين في أفغانستان
جمادى الآخرة / 1426 هـ

منبر التوحيد والجهاد

* * *

tth
tth
tth
tth
tth